رسالة إلى مريض

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع ١٠٦٠٠/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى 3 - 007 - 365 - 977

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ٧٧٩٥٠٢٧

٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ٠١٠/١٢٢٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة

ت: 7771039 -012/7739241

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن الابتلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، والمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

فالعبد مبتلى فى كل شىء، فيما يسره ويحبُّه، وفيما يسوؤه ويكرهه، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥]. قال ابن عباس رضى الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة

والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»[١].

أيها الأخ الحبيب، تلفَّت يمنة ويسرة فهل ترى إلاَّ مبتلى وهل تشاهد إلاَّ منكوبًا، في كل دار نائحة، وعلى كل خد دمع، وفي كل وادٍ بنو سعد.

كم من المصائب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب بل مصابك أنتَ بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام يتقلب ذات اليمن وذات الشمال، يئن من الألم ويصيح من السقم.

كم من رجل وامرأة فقدا فلذات أكبادهما في ميعة الشباب وريعان العمر.

كم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب.

آن لك أن تتعزَّ بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجنٌ للمؤمن، ودار للأحزان والنكبات، تصبح القصور حافلة بأهلها وتمسى خاوية على عروشها.

ولك في الرسول ﷺ قدوة، وقد وُضِعَ السلى على رأسه وأُدمِيَت قدماه وشُجَّ وجهه، وحوصر في الشعب حتى أكل ورق الشجر، وطُرد من مكة، وكُسرت ثنيته، ورُمي عرض زوجته الشريف، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه وأكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتُّهِمَ بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كذاب، صانه الله من ذلك، وهذا بلاء لا بد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل قبلُ زكريا وذُبح

(١) تفسير ابن جرير (١٧/ ٢٥).

يحيى، وهجر موسى، ووضع الخليل فى النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطُعن على، وجلدت ظهر الأئمة وسُجن الأخيار، ونكل بالأبرار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة:٢١٤][1].

• **أخى الحبيب... أختى الفاضلة:** يا من صبرتم على آلام المرض وشدته، هذه رسالة من القلب أهديها لكم عسى الله أن يجعلها بلسمًا يمسح الآلام والأحزان ـ بإذن الرحيم الرحمن ـ.

ـ أبشر أيها المريض المهموم بفجر قريب ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة:٥٢]... لا تضق ذرعًا فمن المحال دوام الحال وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والحكيم كل يوم هو فى شأن، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا، فلا يأس ولا قنوط فالدنيا ظلٌ زائل، والموعد عند حوض النبى ﷺ لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا ثم يأخذ بيديك إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) لا تحزن/ للشيخ عائض القرنى (ص: ٣٨ ـ ٤٠) بتصرف.

فوائد الأمراض .. والحكمة منها

وقد يسأل سائل ويقول: وهل للأمراض فوائد؟

نقول: بلى إن لها فوائد كثيرة ولكن لا يعلمها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله فى خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها وتلاشى علوم الخلائق جميعهم فى علم الله كتلاشى ضوء السراج فى عين الشمس. وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك». اهـ[١].

وللأمراض والأسقام ـ خاصّة ـ فوائد وحِكَم، أشار ابن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائدة فائدة[٢].

وسأذكر لكم بعض تلك الفوائد:

(١) تكفير الذنوب والسيئات:

● **أخى الحبيب:** إن مرضك سبب فى تكفير الذنوب والسيئات التى اقترفتها؛ لأن المرض قد يكون عقوبة على بعض الذنوب كما قال تعالى:

(١) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٤٣٢).
(٢) شفاء العليل (ص: ٥٢٥).

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

* قال ﷺ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر»[١] والاختلاج: الحركة والاضطراب.

وتعجيل العقوبة للمؤمن فى الدنيا خيرٌ له، حتى تكفَّر عنه ذنوبه، ويلقى الله سالمًا طاهرًا منها، عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»[٢].

* قال ﷺ: كما عند البخارى ـ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

وقال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[٣].

(٢) استخراج عبودية الضراء (وهى الصبر):

فالله (عز وجل) يبتلى عباده بالسراء والضراء فيستخرج منهم عبودية السراء وهى الشكر وعبودية الضراء وهى الصبر، فإذا كان العبد مؤمنًا

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٢١).
(٢) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٨).
(٣) رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨١٥).

حقًا ظهرت عبوديته واضحة جلية فى كل الأحوال كما قال عليه الصلاة والسلام: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له» (أخرجه مسلم).

وقد دلّت الأدلة على أن المصائب والآلام والأمراض ملازمة للبشر، وأنه لا بد لهم منها لتحقيق العبودية لله. قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]. والمصيبة تشمل كل ما يسوء المرء كما جاء عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه انقطع شِسْع نعله فاسترجع[١]، وقال: «كل ما ساءك فهو مصيبة»[٢].

• ليس البلاء علامة على هوان العبد:

ولا ينبغى أبدًا أن يعتقد العبد أن الله يسلط عليه البلاء لهوانه عنده.. فلقد أخبر النبى ﷺ أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل.

(١) أى، قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٩/ ١٠٩) وهنّاد فى الزهد (ص: ٢٤٥)، وقال ابن حجر: سند هذا الموقوف صحيح.

قال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فمن ابتلاه الله بالمرَّ: بالبأساء والضراء والبأس وقدر عليه رزقه[١] فليس ذلك إهانة له، بل هو ابتلاء وامتحان، فإن أطاع الله فى ذلك كان سعيدًا، وإن عصاه فى ذلك كان شقيًا كما كان مثل ذلك سببًا للسعادة فى حقّ الأنبياء والمؤمنين، وكان شقاء وسببًا للشقاء فى حق الكفار والفجار»[٢].

(٣) إيقاظ العبد من غفلته:

فكم من عبد كان تائهًا شاردًا لم يسجد لله سجدة واحدة وإذا به لما مرض تذكَّر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصى، وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذى مضى، وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (عز وجل).

أخى الحبيب: إن المرض يريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه، فيكون البلاء حينئذ خيرًا لك من النعمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله»[٣].

---

(١) أى: ضيَّق عليه رزقه.

(٢) قاعدة فى المحبة (ص: ١٦٧).

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ١٠٢).

(٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحسّ به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقِّها»[١].

وقال في موضع آخر: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي اللـه بعض القـوم بالنعم

فلولا أنه ـ سبحانه ـ يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه ونقَّاه وصفَّاه ـ أهَّلَه لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه»[٢].

---

(١) شفاء العليل (ص: ٥٢٤ ـ ٥٢٥).

(٢) عدة الصابرين (ص: ١٦١) ـ الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ١٣٢).

(٥) أن يعلم العبد قدر النعمة:

فمن بين فوائد المرض أن يعرف العبد قدر النعمة التى كان يعيش فيها قبل المرض... فإن العبد قد ينغمس فى التمتع بتلك النعم وهو لا يشكر ربه (عز وجل) فإذا داهمه المرض وفقد تلك النعمة ولو لفترة قصيرة فإنه عند ذلك يشعر بقدر النعمة ويعلم قدر المنعم (جل وعلا) فيكون ذلك حاديًا له بعد الشفاء لأن يستعمل تلك النعم كلها فى طاعة الله (جل وعلا).

(٦) أن تتذكر حال إخوانك المرضى:

إن العبد إذا عاش معافًا فى بدنه طوال حياته فإنه قد لا يشعر بآلام إخوانه المرضى وبالتالى لا يقوم بأى حق من حقوقهم... أما إذا ابتُلى العبد بأى مرض فإنه بذلك يتذكر حال إخوانه المرضى والمعاناة التى يعيشون فيها فيقوم بحقوقهم التى لطالما غفل عنها فيتعهدهم بالزيارة والتخفيف من مصابهم ومواساتهم وقضاء حوائجهم والدعاء لهم.. إلى غير ذلك من الحقوق.

(٧) النجاة من النار:

والعبد إذا مرض فصبر واحتسب ورضى بقضاء الله فإن ذلك يكون سببًا للنجاة من النار.

كما قال ﷺ: «الحمى حظ كل مؤمنٍ من النار»(١).

(١) رواه البزار وصححه الألبانى بشواهده فى الصحيحة (١٨٢١).

ومن المعلوم أن المرض يكون سببًا فى تكفير الذنوب والسيئات.. فيلقى العبدُ ربه نقيًا طاهرًا فيكون ذلك سببًا فى نجاته من النار.

(٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا):

لقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن الجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس فقال ﷺ - كما عند مسلم -: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات».

والمكاره هى كل ما تكرهه النفس ويشقّ عليها. وهذا يتناول مجاهدة النفس فى القيام بالطاعات واجتناب المعاصى، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها[١].

ولهذا جاء فى حقّ من أصيب بفقد بصره قوله عليه الصلاة والسلام - كما عند البخارى - يقول الله عز وجل: «إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة» يريد عينيه.

(٩) رفع الدرجات:

ومن فوائد المرض أن العبد إذا ابتُلى فصبر فإنه يتحصل بذلك على الحسنات بل وتُرفع له الدرجات.

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: - كما عند مسلم -: «ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها

(١) انظر الفتح (١١/ ٣٢٠).

درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»[(١)].

أخي الحبيب..أختي الفاضلة: تأملوا معى تلك الهدية الغالية من كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلِّغه إياها»[(٢)].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده، ثم صبَّره على ذلك، حتى يبلِّغه المنزلة التى سبقت له من الله تعالى»[(٣)].

• من يُرد الله به خيرًا يُصب منه:

ومن خلال ما تقدم نعلم يقينًا أن المرض منحة ربانية من الله (عز وجل) على عباده المؤمنين ولذا قال سيد المرسلين ﷺ: ـ كما عند البخارى ـ «من يُرد الله به خيرًا يُصب منه».

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبى ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: «وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى الفتاوى (١٠/ ١٢٤): «المصائب التى تجرى بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفَّر بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولّد عنها. اهـ.

(٢) رواه ابن حبان والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٣) رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٢/ ٥٩٧).

أحدكم بالرخاء»[١].

قال وهب بن منبّه ـ رحمه الله ـ: «إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدّه رخاء، وإذا أصابه رخاء عدّه بلاء»[٢].

وقال بعض الحكماء: «رب محسود على رخاء هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه»[٣].

وقال بعض السلف: «يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب»[٤].

وقال بعضهم: «ارض عن الله فى جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه»[٥].

*** ومن رحمته سبحانه بعباده أن نغّص عليهم الدنيا وكدّرها، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا فى النعيم المقيم فى داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم»**[٦]. اهـ.

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٤٤).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (٤/ ٣٢٧).
(٣) العقد الفريد (٣/ ١٤٥).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢١٦).
(٥) المدارج (٢/ ٢١٦).
(٦) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٥).

ومما يناسب هذا المبحث هذا الحديث العجيب في معناه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل أعرابي على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخذتك أمُّ مِلْدم قطّ؟ قال: وما أم مِلْدم؟ قال: «حرٌّ يكون بين الجلد واللحم» قال: ما وجدت هذا قطّ. قال: فهل أخذك هذا الصداع قطّ؟ قال: وما هذا الصداع؟ قال: «عرقٌ يضرب على الإنسان في رأسه» قال: ما وجدت هذا قطّ. فلما ولّى، قال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»(١).

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إنكم ترون الكافر من أصحَّ الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحَّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايم الله لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم ـ لكنتم أهون على الله من الجعلان»(٢).

(١) رواه أحمد والنسائي وصححه أحمد شاكر (٨٣٧٦).
(٢) الزهد لهناد (ص: ٢٤٧).

الأسباب التى تعينك على الصبر

أما عن الأسباب التى تعينك على الصبر على المرض فهى كثيرة جدًا وسأكتفى بذكر أهم تلك الأسباب:

(١) الفوز بمعية الله ومحبته:

إن صبرك على مرضك يجعلك تفوز بمعية الله فقد قال (جل وعلا): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].. بل يجعلك تفوز بمحبة الله فقد قال (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

(٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥ : ١٥٧].

كان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين.. يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

فإذا علمت أنك إذا صبرت على المرض فسوف تظفر بتلك البشريات فإن ذلك يكون حاديًا لك على الصبر.

(٣) التأسي بأهل المصائب:

فإن ذلك يُهوِّن عليك آلام المرض وشدته.. فمهما بلغت آلامك فلا بد أن تجد من هو أشد تألمًا منك.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه وأنَّ سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متّعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت دارًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرَّته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور. قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لكل فرحة ترحة[١]، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا. وقال ابن سيرين ـ رحمه الله ـ: ما كان ضحك قطّ إلا كان من بعده بكاء..»[٢].

وذكر ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ أنه حدَّثه من قرأ فى الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضًا شديدًا، فلما خاف أن يموت كتب إلى أمه: يا أماه، اصنعى طعامًا، واجمعى من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، واعلمى هل وجدت لشيء قرارًا باقيًا وخيالاً دائمًا؟! إنى قد علمت يقينًا أن الذى

(١) الترح ضد الفرح وهو الحزن والهم والهلاك. انظر ترتيب القاموس (١/ ٣٦٤)، النهاية (١/ ١٨٦).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

أذهب إليه خير من مكاني. قال: فلما وصل كتابه صنعت أمه طعامًا، وجمعت الناس، وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: من يبلغك عنى أنك وعظتنى فاتعظت، وعزّيتنى فتعزيت، فعليك السلام حيًا وميتًا»(١).

• أيوب (عليه السلام).. ورحلة الصبر والرضا:

وهذا نبى الله أيوب (عليه السلام) الذى يُضرب به المثل فى الصبر.

ها هو نبىٌ كريم يتعرض لهذا البلاء الشديد فيعطى للكون كله درسًا عظيمًا فى الصبر والاحتساب والرضا عن قضاء الله تعالى؛ حتى قال الله عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله: قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام، والعبيد، والمواشى، والأراضى المتسعة من أرض الثنية من أرض حوران، وحكى ابن عساكر أنها كانت كلها له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فَسُلِبَ منه ذلك جميعه، وابتُلى فى جسده بأنواعٍ من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله (عز وجل) بهما، وهو فى ذلك كله صابر محتسب ذاكرٌ لله عز وجل فى ليله ونهاره، وصبحه ومسائه.

وطال مرضه، حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وأُخرج من بلده، وأُلقى على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها،

(١) تسلية أهل المصائب (ص ٢٠ ـ ٢١).

وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته.

وضعف حالها، وقل مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه، وتقوم بأوده رضى الله عنها وأرضاها، وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة، والخدمة والحرمة، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزد هذا أيوب عليه السلام إلا صبرًا واحتسابًا وحمدًا وشكرًا حتى إن المثل ليُضرب بصبره عليه السلام، ويُضرب أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا[١].

وقال الحافظ: أصح ما ورد فى قصته ما أخرجه ابن أبى حاتم وابن جريج وصححه، وابن حبان، والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل، عن الزهرى، عن أنس: «أن أيوب ابتلى، فلبث فى بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبًا عظيمًا، وإلا لَكُشفَ عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعنى فحزن، ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته، وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك وضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، فرجع صحيحًا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن

(١) قصص الأنبياء/ للحافظ ابن كثير (ص: ٢٥٧: ٢٥٨) ط. دار الجيل.

أيوب فقال: إنى أنا هو.

وكان له أَنْدَرَان: أحدهما للقمح والآخر للشعير، فبعث الله سحابة فأفرغت فى أندر القمح الذهب حتى فاض، وفى أندر الشعير الفضة حتى فاض»(١).

وهكذا كشف الله تعالى عنه البلاء بعد سنوات طويلة من الصبر والرضا... بل وخلَّد الله ذكره فى كتابه الكريم (القرآن) فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤]. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤١ ـ ٤٤](٢).

(٤) العلم بأن المرض مُقدر من عند الله:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر أن تعلم يقينًا أن هذا المرض قد قدَّره الله عليك كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ [التوبة:٥١].

(١) فتح البارى (٦/ ٤٢١).

(٢) رسالة إلى أهل البلاء / للمصنف (ص: ٣٤ : ٣٧).

وقال جل وعلا: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» يقول: «ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهدى قلبه»، يقول: «يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»[1]. اهـ.

وقال علقمة ـ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم»[2].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ كما عند مسلم ـ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

(٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع:

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فالله لا يبتليك ليعذبك وإنما يبتليك ليطهرك ويقربك... وتأمل معى أيها الأخ الحبيب هذا المشهد المهيب ـ كما فى الصحيحين ـ:

* عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: قدم على النبى ﷺ سبىٌ، فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيًا فى السبى أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبى ﷺ: «أترون هذه المرأة

(١) تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٢٣).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٢٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٣).

طارحة ولدها فى النار؟» قلنا: لا وهى تقدر أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».

(٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره فى الاستعانة بالصبر والصلاة.

فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣].

(٧) أن ترضى باختيار الله لك:

أن تعلم أن الله (عز وجل) هو الذى اختار لك هذا المرض وهذا البلاء فما عليك إلا أن ترضى وتُسلِّم.. فالله أعلم بما يُصلحك وهو الحكيم الذى يضع الشىء فى موضعه... فمن الناس من لا ينصلح حاله إلا بالمرض ومنهم من لا ينصلح حاله إلا بالصحة.

(٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تتذكر فوائد المرض وثمراته فإن هذا المرض إما أن يكون رفعًا لمنزلتك وقد قصر بك عملك عن بلوغ تلك المنزلة، أو إنه لتكفير ذنب لو لم يكفر لأدى إلى هلاكك، وهو - أيضًا - سبب فى تكثير الحسنات ودخول الجنات والنجاة من النار وطهارة القلب

من الأمراض التى تهلكه، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والحِكَم الجليلة.

(٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

* قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ: «إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»[(١)].

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة يزيد فى مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يُشمتُ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويغْضب ربَّه، ويسرُّ شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه؛ فهذا هو الثبات فى الأمر الدينى.

(١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك إذا كنت صابرًا محتسبًا فلقد قال ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[(٢)].

---

(١) منهاج العابدين للغزالى (ص: ٢٣٩).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب:

ومن كمال رحمة الله (عز وجل) أن العبد قد يكون به من الكبر والعجب ما يجعله سببًا لهلاكه فيبتليه الحق (جل وعلا) ليُخرج من قلبه الكبر والعجب ويجعل قلبه مستكينًا متواضعًا خاشعًا لله فيكون ذلك سببًا للفوز برحمة الله ورضوانه وجنته فلقد قال ﷺ - كما عند مسلم - «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...».

(١٢) قد يكون الخير كله في هذا المرض:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد[1].

(١٣) أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النعم:

وعليك أيها الأخ الحبيب ألا تنظر إلى النعمة التي سلبها الله منك بل انظر إلى سائر النعم التي أبقاها الله عليك.

فلا تكن ممن يذكر المصائب وينسى النعم. قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦]

(١) الفوائد (ص: ٢٠٠).

قال: «يذكر المصائب وينسى النعم».

وتأمل معى كيف أن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ لما قُطعت رجله ومات ولده فى نفس اليوم جلس يذكر نعم الله عليه قبل أن يذكر هذا البلاء فقال: «اللهم كان لى بنون سبعة فأخذت واحدًا وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت لى ثلاثة، ولئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت فقد عافيت. وما ترك جزأه من القرآن فى تلك الليلة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «تهوين البليّة بأمرين، أحدهما: أن يعدّ نعم الله عليه، وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدّها، وأيس من حصرها ـ هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه ـ بالنسبة إلى أيادى الله ونعمه ـ كقطرة من بحر، الثانى: تذكر سوالف النعم التى أنعم الله بها عليه. فهذا يتعلق بالماضى، وتعداد أيادى المنن يتعلّق بالحال»[1] اهـ.

وأنشد محمود الورّاق ـ رحمه الله ـ:

يا أيها الظالم فى فعله ... والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

(١٤) التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته، من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شىء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد فى

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦٧).

مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

(١٥) التعرف على فضيلة الصبر:

ومما يعينك على الصبر أن تتعرف على فضيلة الصبر فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «.. والصبر ضياء»... وعليك أن تُصبِّر نفسك فإنه بذلك يحصل لك الصبر فقد قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «ومن يتصبر يصبره الله».

(١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض:

فلقد كان الواحد منهم يفرح بالمرض والبلاء رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

قال أحنف: لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد. وكان أحدهم إذا مرض يقول: إن حلاوة الأجر أنستنى مرارة الألم.

(١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[١].

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

وإذا ابتُلى العبد بمرض أو حادث سيارة فما عليه إلا أن يرضى بقضاء الله ولا يفتح على نفسه بابًا من أبواب الشيطان فيقول: لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولذا قال ﷺ: ـ كما عند مسلم ـ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان».

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متّ على غير هذا لدخلت النار»[١].

(١٩) أن تتذكر ما فى البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التى يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل

(١) رواه أبو داود وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

* ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* ومنها: أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء.

* ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

* ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحس بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض(١).

(٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين:

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوّض.

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...»(٢).

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس (رضي الله عنهما) وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام ـ نقلاً من تسلية المصائب لأحمد فريد (ص: ٤١).

(٢) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨).

وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره.

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

(٢١) أن تعلم أن الدينا دار ابتلاء وامتحان:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهى محلّ للأنكاد والأسقام والأحزان، وأنها حقيرة عند خالقها سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤] قال سعيد ابن أبى الحسن ـ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»[١].

ومن أمثال العرب: «من حدّث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب».

وقال أبو الحسن التهامى ـ رحمه الله ـ فى ذم الدنيا:

طُبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيام ضدّ طباعها ... متطلّب فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبنى الرجاء على شفير هار[٢]

وقد قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/ ١٩٧).
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٠).

(٢٢) أن تتذكر الموت:

قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات، فما ذكره عبد قطّ وهو فى ضيق إلا وسّعه عليه، ولا ذكره وهو فى سعة إلا ضيّقها عليه»(١).

فمن علم أنه سيرحل عن هذه الدنيا لا محالة فإنه يستوى عنده البلاء والعافية لأن أهم ما يشغله أن يلقى الله وهو راضٍ عنه.

(٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا):

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥، ٦].

وقال ﷺ فى وصيته لابن عباس (رضى الله عنهما): «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»(٢).

ولرُبّ نازلة يضيق بها الفتى
ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكان يظنّها لا تُفرجُ

---

(١) رواه البيهقى وابن حبان وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١١).
(٢) رواه أحمد والخرائطى عن أنس ـ السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

(٢٤) أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة:

فإن العبد المؤمن إذا رضى بقضاء الله وصبر على مرضه فإنه سينسى كل آلامه وأحزانه مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).

* قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ فى جهنم صبغة؛ ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب ما مرّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

(٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيب:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر على المرض أن تستحضر هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة حيث قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعُطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار:

فإن العبد إذا تذكر عذاب أهل النار وما يقاسونه فيها من الحرق والجوع والعطش والحرمان من النظر إلى وجه الله (عز وجل) فإن ذلك

(١) رواه الترمذى عن جابر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

يُهوِّن عليه آلام المرض فإن كل عذاب دون النار عافية وكل نعيم دون الجنة سراب.

* كانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصائب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب.

(٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن وراء هذه الدار الدنيا دارًا أعظم منها وأجلّ قدرًا، وأنك لابد مرتحل إليها إن كنت من أهلها، وهي الجنة التي أعدّها الله لأوليائه.

* قال ﷺ ـ كما في الصحيحين ـ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وقال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «ينادي مناد، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

* وعليك أن تتذكر أدنى أهل الجنة منزلة.. فقد قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «سأل موسى ﷺ ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ

يجيءُ بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقولُ: أي ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقولُ: رضيتُ رب، فيقولُ: لك ذلك ومثلُهُ ومثلُهُ ومثله، فيقولُ في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لك وعشرةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُكَ، ولذَّتْ عينُكَ، فيقولُ: رضيتُ رَبِّ، قال: ربِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أُولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهُم بيدي وختمتُ عليها، فلم تَر عينٌ، ولم تسمع أُذُنٌ، ولم يخطُرْ على قلب بشر».

* بل يخبر النبي ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ـ كما عند مسلم ـ أن الله عز وجل يقول له: «....اذهب فادخلِ الجنة. فإنَّ لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنَّ لك مثل عشرةِ أمثال الدنيا، فيقولُ: أتسخرُ بي، أو أتضحكُ بي وأنت الملكُ».

• بشرى لكل مريض:

أبشر أيها الأخ الحبيب فإن كل طاعة كنت تعملها وأنت صحيح فإن الله يأمر الملائكة بأن يكتبوا لك أجرها وأنت مريض قال ﷺ ـ كما عند البخاري ـ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا».

نصائح غالية لكل مريض

وإليك أيها الأخ الحبيب باقة عطرة من النصائح عسى الله أن ينفعنى وإياك بها:

(١) عليك بالصبر الجميل:

أخى الحبيب: عليك بالصبر الجميل الذى لا ضجر معه وكن راضيًا عن الله (عز وجل) فإنه أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين»(١).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:«وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر»(٢).

والصبر يتحقق بثلاثة أمور:

١ ـ حبس النفس عن الجزع والسّخط.

٢ ـ وحبس اللسان عن الشكوى للخلق.

٣ ـ وحبس الجوارح عن فعل ما ينافى الصبر(٣).

---

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ١٧٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٥٢).

(٣) عدة الصابرين (ص: ١٣).

(٢) لا تطلب البلاء ولا تتمناه:

وعلى العبد ألا يتمنى المرض والبلاء لأنه لا يدرى هل يصبر أم لا ولذا كان ﷺ يعلمنا أن نطلب العافية فقال ﷺ: «سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية»[١]. وكان عليه الصلاة والسلام لا يدع سؤال ربه العفو والعافية كل صباح ومساء[٢].

(٣) توكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

عليك أن تأخذ بأسباب الشفاء مع العلم بأن تلك الأسباب لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مسبب الأسباب (جل وعلا) فإنه مهما كان مرضك، فإن له دواء علمه من علمه، وجهله من جهله. وفى العلم بهذا تأنيس لقلبك وتقوية لجانب الرجاء وانتظار الفرج.

قال ﷺ: «تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحد الهرم»[٣].

* فلا حرج أن تتناول الدواء ولكن اعلم أن الدواء مجرد سبب للشفاء ولكن الشافى هو الله (عز وجل).. لهذا فقد يحصل الشفاء باستعمال الدواء وقد لا يحصل لعدم إرادة الله ذلك قال تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]،

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٣٢).

(٢) رواه أبو داود وحسنه ابن حجر فى نتائج الأفكار (٢/٧٠٨).

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[١].

(٤) احذر من الدواء المحرم:

واحذر أيها الأخ الحبيب أن تتداوى بشىء محرم فإن بعض الأطباء يصفون البيرة لعلاج أمراض الكلى مع أن الله لم يجعل شفاءنا فيما حرمه علينا.

قال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم فى حرام». وفى رواية: «إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام»[٢].

(٥) لا تتمن الموت لشدة المرض:

أخى الحبيب: إذا اشتد عليك المرض فلا تتمن الموت فإن عمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا فإن كان محسنًا ازداد من الخير وإن كان مسيئًا يُقلع عن الذنب ويتوب منه.

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) رواه الدولابى فى الكنى وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٦٣٣).

قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «لا يتمنَ أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا».

وقال ﷺ ـ كما في الصحيحين ـ: «لا يتمنَين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي».

(٦) إحرص على الصدقة:

وعليك أن تحرص على كثرة التصدق عن الفقراء فقد قال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»(١).

ـ كان هناك رجل نرى قد مرض ابنه الوحيد مرضًا عجز الأطباء عن علاجه.. وفي يوم من الأيام سمع هذا الرجل أحد الدعاة وهو يذكر هذا الحديث: «داووا مرضاكم بالصدقة» فخرج الرجل يبحث عن الفقراء واليتامى والأرامل وأخذ يتصدق عليهم... وبعد أيام كان شفاء ابنه ـ بإذن الله ـ بغير دواء.

(٧) احرص على هذا الدعاء لتنال أجر شهيد:

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

إنها دعوة نبي الله يونس (عليه السلام) قال رسول الله ﷺ: «أيّما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة، فمات في مرضه ذلك، أُعطي أجر

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

شهيد، وإن برأ برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»[١].

(٨) لا تخف من الموت بسبب المرض:

فإن المرض لا يُقَرِّب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تباعد منه.. فالله (عز وجل) هو الذى يملك مقادير الأمور وهو الذى يعلم آجال العباد فقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

وقد جاء فى حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن المَلَكَ يبعث إلى الجنين بعد مائة وعشرين يومًا ـ بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

وقال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ:

فكم من صحيح مات من غير علَّة
وكم من علّيل عاش دهرًا إلى دهر
وكم من فتى يمسى ويصبح آمنًا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

(٩) لا تذهب للكهان والسحرة والعرافين:

واحذر ـ أخى الحبيب ـ وأنت فى غمرة البحث عن أى خيط يوصلك إلى الشفاء أن تذهب إلى الكهنة والسحرة والعرافين فلقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك فقال ـ كما عند مسلم ـ: «من أتى عرّافًا فسأله عن شىء لم

(١) رواه الحاكم (١/ ٥٠٦) وصححه ووافقه الذهبى.

تقبل له صلاة أربعين ليلة». وهذا فيه أن مجرّد سؤالهم ولو لم يحصل التصديق لهم محرّم ولا تقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(١). وهذا فيه أن من صدّق الكاهن فقد وقع فى الكفر.

قال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: «فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدّعون المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدّقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب»(٢).

(١٠) عليك بالدعاء:

وإذا كان المرض بقدر الله فهو ـ سبحانه ـ القادر على أن يأتيك بالشفاء العاجل ولكن عليك بالدعاء فقد قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

---

(١) رواه أحمد وقال ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٢١٧): إسناده جيد.
(٢) مجموع فتاويه (٣/ ٢٧٤).
(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٧).

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم ـ عباد الله ـ بالدعاء»(١).

وعن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ»(٢).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن. وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»(٣).

(١١) احرص على الرقية الشرعية:

قال الإمام ابن القيم: «واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا وإن كان مؤذيًا، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوّذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب

(١) رواه الحاكم عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩).
(٢) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).
(٣) الجواب الكافي (ص: ١٧ ـ ١٨).

كمال التعوّذ وقوّته وضعفه، فالرقى والعُوَذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»[١] اهـ.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

● وإليك - أخي الحبيب - طائفة من الآيات والأدعية التي وردت في السنة عسى الله أن ينفعك بها وأن يجعلها سببًا للشفاء:

١ - قراءة فاتحة الكتاب: لقد ثبت في الصحيحين أن صحابيًا رقى رجلاً كان قد لُدغ فشفى بإذن الله.

٢ - قراءة المعوِّذات (ثلاث مرات): والمعوِّذات هي: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾.

عن عائشة - رضي الله عنها -: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده، رجاء بركتها» (متفق عليه).

قال النووي - رحمه الله -: «إنما رقى بالمعوّذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شرّ الحاسدين، ومن شرّ الوسواس الخناس. والله أعلم»[٢].

٣ - وفي الصحيحين عن أمنا عائشة (رضي الله عنها) قالت: «كان

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨٢).

(٢) مسلم بشرح النووي (٤/ ٤٣٣).

رسول الله ﷺ إذا اشتكى منّا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: «أذهب البأس ربَّ الناس، واشفِ أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فى هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافى، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمّنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيّته»(١).

٤ ـ الدعاء للمريض بالشفاء (ثلاثًا)، كما فعل النبى ﷺ مع سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ حينما عاده فى مرضه» (متفق عليه).

٥ ـ وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «نعم» قال: «بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك، من شرّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: بسم الله يُبْريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذى عين» (أخرجه مسلم).

٦ ـ وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص ـ رضى الله عنه ـ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده فى جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذى تألم من جسدك، وقل: «بسم الله» (ثلاثًا).

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٨).

ثم قل: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

وفى رواية: قال عثمان: «فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بى، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم». وفى رواية: «امسحه بيمينك سبع مرات».

٧ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبى ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًا أو يمش لك إلى صلاة»[١]. وقوله ينكأ: أى يؤلم ويوجع.

٨ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده ـ سبع مرات ـ: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلا عافاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من ذلك المرض»[٢].

وفى رواية: «فإن كان فى أجله تأخير عُوفى من وجعه ذلك».

٩ ـ وفى صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ـ لم يضرَّه شىء، حتى يرتحل من منزله ذلك».

١٠ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزغ أحدكم فى النوم فليقل :«أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشرّ عباده،ومن هَمَزات الشياطين، وأن يحضرون»[٣].

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦٦).

(٢) رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٨).

(٣) رواه الترمذى وأبو داود وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٢٦٤).

١١ ـ وعند البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كان النبى ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة».

١٢ ـ أعوذ بكلمات الله التامات الى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرّ ما ينزل من السماء، ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذرأ فى الأرض، ومن شرّ ما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان[١].

١٣ ـ عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) فيضره شىء»[٢].

وفى رواية: «لم تصبه فجأة بلاء».

(١٢) احرص على أدعية تفريج الهموم:

ولقد دلنا النبى ﷺ على بعض الأدعية التى جعلها الله سببًا فى تفريج الهموم.

قال ﷺ: «ما أصاب عبدًا قط همّ ولا حَزن، فقال: اللهم إنى عبدك،

---

(١) رواه أحمد وصححه الألبانى فى تخريج شرح الطحاوية (ص: ١٩١).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٤٥).

وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[(١)].

وقال ﷺ: «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقولُ عند الكَرْب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض وربُّ العرشِ الكريم» (متفق عليه).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا كَرَبَهُ أمرٌ قال: «يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتكَ أستغيثُ»[(٣)].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهمَّ رحمتكَ أرجُو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصلح

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٧١).

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٦).

لى شأنى كُله، لا إله إلا أنت»[١].

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ فى شىء قطٌ إلا استجاب الله له»[٢].

وعنْ أسماء بنت عُميس رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «ألا أعلمُك كلمات تقولينهنَّ عند الكربِ ـ أو فى الكربِ ـ : الله، الله ربى لا أشرك به شيئًا»[٣].

وفى رواية قال ﷺ: «من أصابه همٌّ أو غمٌ أو سُقمٌ أو شدةٌ فقال: الله ربى لا شريك له كُشف ذلك عنه».

(١٢) عليك بالحجامة وعسل النحل:

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «الشفاء فى ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكيَّة نار، وأنهى أمتى عن الكى».

وقال ﷺ: «خيرُ ما تداويتم به الحجامة»[٤].

وقال ﷺ: «خير يومٍ تحتجمون فيه سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٨٨).
(٢) رواه الترمذى عن سعد، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٣٠٥٢).
(٣) رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٣).
(٤) رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٢٣).

عشرين وما مررتُ بملأ من الملائكة ليلة أُسرى بى إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد»[١].

وقال ﷺ: «الحجامةُ على الرِّيق أمثلُ، وفيها شفاءٌ وبركةٌ، وتزيدُ فى الحفظ وفى العقل، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء؛ فإنه اليوم الذى عافى الله فيه أيوب من البلاء، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء؛ فإنه اليوم الذى ابتلىَ فيه أيوبُ، وما يبدو جذامٌ ولا برص إلا فى يوم الأربعاء، أو فى ليلة الأربعاء»[٢].

(١٤) عليك بألبان البقر:

قال ﷺ: «عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داءٌ»[٣].

(١٥) وصفة مباركة للشفاء:

ففى الحديث المتفق عليه، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت به قرحة أو جرحٌ، قال النبى ﷺ بأصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض، ثم رفعها

(١) رواه أحمد والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٩).

(٣) رواه أبو نعيم والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٦٠).

ـ وقال: «بسم الله تُربَةُ أرضنا بريقة بعضنا يُشْفَى سقيمُنا بإذن ربنا»(١).

قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا، هنا، جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها.. والريقة أقل من الريق.. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام فى حال المسح.

(١٦) نصيحة غالية للوقاية من أى بلاء:

قال ﷺ: «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء»(٢).

(١٧) هذا الطعام لعلاج الهموم:

روى البخارى رحمه الله عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن».

والتلبينة: هى حساء يعمل من دقيق، أو نخالة ويجعل فيه عسل، وسميت تلبينة لشبهها باللبن، وهى تطبخ من الشعير مطحونًا.

ومعنى مجمة: أى تريح وتنشط وتزيل الهم.

---

(١) مسلم/ عبد الباقى (٤/ ١٧٢٤).

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٤٨).

(١٨) عليكم بالحبة السوداء:

قال ﷺ: «عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام وهو الموت»[(١)].

(١٩) قيام الليل مطردة للداء عن الجسد:

واحرص أخي الحبيب على قيام الليل ـ ولو كنت جالسًا ـ فإن قيام الليل من أسباب الشفاء ـ بإذن الله ـ.

قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاةٌ عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»[(٢)].

(٢٠) عليك بمراعاة تلك الأشياء مع الأهل والأحباب:

أخي المريض، تذكر أن أهلك وإخوانك وأحبابك متأثرون لما أنت فيه، قد أحسوا بمصابك، وشعروا بألمك، وتوجعوا لوجعك، فحق عليك أن تراعي أمورًا معينة في التعامل معهم:

أولها: لا تحمل من حولك ما لا يطيقون بتكليفهم بالقيام بأمور يشق عليهم القيام بها أو مطالبتهم بمطالب يعجزون عن تحقيقها أو يرهقهم توفيرها، وإن كانوا يعطفون عليك ويرحمونك ويتحملون منك، لكن لا ينبغي أن تجعل ذلك مبررًا للإثقال عليهم.

ثانيها: أظهر لأهلك ومحبيك أنك بخير، وأن صحتك في تحسن

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٨٣).

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٧٩).

مستمر، وأن نفسيتك عالية، لتطمئنهم وتطرد عنهم القلق والحزن الذى أحاط بهم إشفاقًا عليك.

ثالثها: إذا حصل من أحد من أحبابك وإخوانك وأقاربك تقصير فى زيارتك أو السؤال عنك، فالتمس له العذر، ولا تحمل عليه فى صدرك، والتمس له المعاذير، فقد يقصر فى ذلك لأمور:

أحدها: عدم العلم بحالك، فقد لا يعلم بما أصابك من المرض.

الثانى: النسيان، وكل أحد عرضة له.

الثالث: الاشتغال بأمور ملزمة لا انفكاك له عنها.

وثمت أعذار أخرى إذا التمستها وجدتها(١).

(٢١) لا تحزن على ما فاتك من الدنيا:

ولا تعتقد أيها الأخ الحبيب أن مرضك كان سببًا فى فوات حظ من حظوظ الدنيا فإنك لن تنال إلا رزقك الذى قدره الله لك... ولا يخفى عليك أن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

قال ﷺ - كما عند مسلم -: «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بم يرجع».

*** ولن يفوتك رزقك أبدًا فقد قال ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»(٢).**

---

(١) تحفة المريض/ عبد الله الجعيثن (ص: ١٢٧: ١٢٨).

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٣٠).

(٢٢) أحسن الظن بالله (جل وعلا):

أخي الحبيب: إذا طال بك المرض واستمرت بك الآلام فلا تسيئن الظن بربك، وتعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - أراد بك سوءًا، وأنه لا يريد معافاتك، وأنه ظالم لك، فإن ذلك جرم عظيم وخطر جسيم. فالله سبحانه وتعالى مُنزه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» (أخرجه مسلم).

فما أصابك وما قدره الله عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ: «ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك»[١].

وقال (جل وعلا):«أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًا فله»[٢].

وقد أمر النبي ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله - عز وجل -» (أخرجه مسلم)[٣].

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٣) تحفة المريض (ص: ١٠٥).

يا صـــاحب الهــم إن الهم منفرجٌ
أبشر بخيـرٍ فإن الفــارج اللـــهُ
اليـأس يقطــع أحيـانًا بصاحبـــه
لا تيـــأسن فإن الكـــافى اللـــه
إذا بُليـت فثـق باللـــه وارض به
فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ
الله يُحدث بعـــد العـسر ميـسرةً
لا تجزعـن فإن الصــــانع اللـــهُ
والله مَا لكَ غير اللـه من أحـــد
فحسبُـكَ اللـه فى كلٍ لك اللـــهُ

(٢٣) لا تشك من يرحمك إلى من لا يرحمك:

واحذر - أخى الحبيب - أن تشكو ربك (عز وجل) لأى مخلوق فإنك إن فعلت ذلك فكأنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

- واحرص على هذا الثواب العظيم الذى أخبر عنه الحق (جل وعلا).

قال ﷺ: «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادى مؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليته؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقول الربُّ عز وجل للحفظة: إنى أنا قيدت عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»(١).

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٠).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدى المؤمن، فلم يشكنى إلى عُواده أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه ثم يستأنف العمل»(١).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والشكوى إلى الله ـ عز جل ـ لا تنافى الصبر، فإن يعقوب ـ عليه السلام ـ وعد بالصبر الجميل ـ والنبى إذا وعد لا يخلف ـ ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا، مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وإنما ينافى الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا عرتك بليـــة فاصبـر لهـا
صبر الكـريـم، فإنـه بك أرحـم
وإذا شكـــوت إلى ابن آدم إنمـا
تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم(٢)

وأما إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله، أو إخبار الطبيب، أو من يرجو أن يدله على الدواء، فهذا جائز ولا ينافى الصبر، فإن النبى ﷺ قال لابن مسعود رضى الله

(١) رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠١).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٦١).

عنه: «إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم».ولما قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: وا رأساه!! قال: «بل أنا، وا رأساه».

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك فى الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبى ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله»[١] اهـ.

وقال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ: «ويخبر بما يجده بلا شكوى، وكان أحمد ـ رحمه الله ـ يحمد الله أولاً؛ لخبر ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك»[٢].

وقد التزم سلفنا الصالح ـ رحمهم الله تعالى هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولاهم إلى خلقه.

ولما نزل فى إحدى عينى عطاء ـ رحمه الله ـ الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قبل عينه التى أصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أصيب[٣].

وأما الأنين، فقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «التحقيق أن الأنين على

(١) عدة الصابرين (ص: ٣١٤).
(٢) الفروع (٢/ ١٧٦).
(٣) تسلية أهل المصائب (ص: ٢١٥).

قسمين: أنين شكوى، فيكره. وأنين استراحة وتفريج،فلا يكره، والله أعلم»[١].

(٢٤) أحِبَّ لقاء الله (عز وجل):

عليك أن تحب لقاء الله حتى يحب الله لقاءك فقد قال ﷺ - كما عند البخاري -: «من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله،وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

(٢٥) عليك بالتوبة والاستغفار:

اعلم علم اليقين أن هذا المرض قد يكون بسبب ذنوبك التى ارتكبتها فعليك أن تتوب إلى الله (عز وجل) وأن تكثر من الاستغفار عسى الله أن يغفر لك ويعفو عنك والزم سيِّد الاستغفار، فعن شداد بن أوس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء لك بذنبى،

(٤) عدة الصابرين (ص: ٣١٥).

فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (أخرجه البخارى).

(٢٦) بادر بكتابة وصيتك:

أخى الحبيب: إذا كان عليك حقوق للناس، أو لك حقوق عندهم، أو ترغب فى الوصية بشىء من مالك، فبادر بكتابة الوصية، فإن السنة المبادرة بها. وكتابتك لها لا تدنى من أجلك، وعدم كتابتك لها لا تباعدك منه. والمرء لا يدرى متى يفجؤه الموت.

قال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ: «ما حق امرئ مسلم له شىء يريد أن يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».

قال ابن عمر: «ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندى وصيتى».

ويستحب عدم تأخير الوصية إلى حضور أمارات الموت، لقوله عليه الصلاة والسلام لما سُئل: أى الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» (متفق عليه).

ولا توص بأكثر من الثلث، لحديث سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ حيث سأل رسول الله ﷺ عن الوصية بماله كله؟ فقال: «لا»

وبالثلثين؟ فقال: «لا» وبالنصف فقال: «لا» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «الثلث، والثلث كثير» (متفق عليه).

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: «الثلث، والثلث كثير» (أخرجه مسلم).

ومعنى «غضّوا» نقصوا وحطّوا.

(٢٧) تحلّل من المظالم:

واحرص كل الحرص على أن تتحلل من مظالم العباد بأن ترد إليهم حقوقهم وأن تتحلل من كل صاحب مظلمة.

قال ﷺ ـ كما عند البخارى ـ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمِل عليه».

(٢٨) اغتنم لحظات العمر فى طاعة الله:

ومن المعلوم أن المريض يكون عنده متسع من الوقت فعليك ـ أخى الحبيب ـ أن تغتنم تلك الأوقات فى قراءة القرآن والصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والاستماع إلى الأشرطة النافعة وقراءة الكتب المفيدة.. واحرص كل الحرص على الدعوة إلى الله وذلك بأن تجتهد فى

دعوة المرضى من حولك بل ودعوة الأطباء وكل من يأتى لزيارتك فلقد قال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ: «ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم» فعسى الله أن يجعلك سببًا فى هداية إنسان فيكون فى ميزان حسناتك يوم القيامة.

(٢٩) وماذا بعد الشفاء:

إذا منّ الله عليك بالعافية فاحمده واشكره على هذه المنّة العظيمة، واعلم أن الله هو الشافى على الحقيقة، فهو الذى قدّر لك الشفاء ويسّر أسبابه، وهو خالق السبب والمسبب.

واعلم أن الصحة من أجل النعم وأعظمها.

فقد قال ﷺ ـ كما عند البخارى ـ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

ونظرًا لكون الصحة من أجلِّ النعم كانت أول ما يُسأل عنه العبد من النعيم يوم القيامة، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أول ما يسأل عنه يوم القيامة ـ يعنى العبد ـ من النعيم أن يقال له: ألم نُصح لك جسمك، ونُروك من الماء البارد؟!»[١].

وقد أرشد النبى ﷺ إلى اغتنام وقت الصحة بالطاعة وما يقرب إلى الله سبحانه، فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول ﷺ لرجل، وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك،

(١) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى الصحيحة (٥٣٩).

وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[(١)] [(٢)].

وقال ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ»[(٣)].

* وقوله: «إلا كان الذى أعطى» يعنى الذى أدى العبد وفعل من الحمد والشكر، «أفضل مما أخذ» يعنى من النعمة.

قال محمود الوراق - رحمه الله -:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة
على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله
وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مسّ بالسراء عمّ سرورها
وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منّة
تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر[(٤)]

---

(١) رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).
(٢) تحفة المريض (ص:١٢٩).
(٣) رواه ابن ماجه عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٦٣).
(٤) الشكر لابن أبى الدنيا (ص: ١٠٤).

(٣٠) سل الله الجنة:

وأخيرًا: لا تنس أيها الأخ الحبيب أنك طالب جنة فلا يفتر لسانك لحظة واحدة عن طلب الجنة من خالقها (جل وعلا) فلقد قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهمَّ أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالتْ النار: اللهم أجره من النار»(١).

بل احرص على أن تسأل الله (عز وجل) أن يرزقك الشهادة لترتقى فى أعلى درجات الجنة... فأخلص نيتك لله وسوف يكرمك الحق (جل وعلا) ويرزقك الشهادة لو سألته بصدق من قلبك فلقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه اللهُ منازل الشهداء، وإنْ ماتَ على فراشه».

* ومن أجل أنَ تعلو همتك للشهادة فلقد أخبرنا النبى ﷺ بمكانة الشهيد عند الله فقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع فى سبعين إنسانًا من أهل بيته»(٢).

---

(١) رواه الترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).
(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

كيف يتطهر المريض؟

- يجب على المريض أن يتطهر بالماء فيتوضأ من الحدث الأصغر ويغتسل من الحدث الأكبر.
- فإن كان لا يستطيع الطهارة بالماء لعجزه أو خوف زيادة المرض أو تأخر برئه فإنه يتيمم.
- كيفية التيمم أن يضرب الأرض الطاهرة بيديه ضربة واحدة يمسح بهما جميع وجهه ثم يمسح كفيه بعضهما ببعض.
- فإن لم يستطع أن يتطهر بنفسه فإنه يوضئه أو ييممه شخص آخر.
- إذا كان فى بعض أعضاء الطهارة جرح فإنه يغسله بالماء، فإن كان الغسل بالماء يؤثر عليه مسحه مسحًا فيبل يده بالماء ويمرها عليه. فإن كان المسح يؤثر عليه أيضًا فإنه يتيمم عنه.
- إذا كان فى بعض أعضائه كسر مشدود عليه خرقة أو جبس فإنه يمسح عليه بالماء بدلاً من غسله ولا يحتاج للتيمم لأن المسح بدل عن الغسل.
- يجوز أن يتيمم على الجدار أو على شيء آخر طاهر له غبار فإن كان الجدار ممسوحًا بشيء من غير جنس الأرض كالبويا فلا يتيمم عليه إلا أن يكون له غبار.
- إذا لم يكن التيمم على الأرض أو الجدار أو شيء آخر له غبار فلا بأس أن يوضع تراب فى إناء أو منديل ويتيمم منه.
- إذا تيمم لصلاة وبقى على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى فإنه يصليها بالتيمم الأول ولا يعيد التيمم للصلاة الثانية لأنه لم يزل على طهارته ولم يوجد ما يبطلها.
- يجب على المريض أن يطهر بدنه من النجاسات، فإن كان لا يستطيع

صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

- يجب على المريض أن يصلى بثياب طاهرة، فإن تنجست ثيابه وجب غسلها أو إبدالها بثياب طاهرة فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحه ولا إعادة عليه.
- يجب على المريض أن يصلى على شىء طاهر،فإن تنجس مكانه وجب غسله أو إبداله بشىء طاهر أو يفرش عليه شيئًا طاهرًا فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.
- لا يجوز للمريض أن يؤخر الصلاة عن وقتها من أجل العجز عن الطهارة بل يتطهر بقدر ما يمكنه أن يصلى الصلاة فى وقتها ولو كان على بدنه أو ثوبه أو مكانه نجاسة يعجز عنها.

[نقلاً من مقالة للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى]

كيف يصلى المريض؟

- يجب على المريض أن يصلى الفريضة قائمًا ولو منحنيًا أو معتمدًا على جدار أو عصا يحتاج إلى الاعتماد عليه.
- فإن كان لا يستطيع القيام صلى جالسًا والأفضل أن يكون متربعًا فى موضع القيام أو الركوع.
- فإن كان لا يستطيع الصلاة جالسًا صلى على جنبه متوجهًا إلى القبلة والجنب الأيمن أفضل، فإن لم يتمكن من التوجه إلى القبلة صلى حيث كان اتجاهه، وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه.
- فإن كان لا يستطيع الصلاة على جنبه صلى مستلقيًا رجلاه إلى القبلة والأفضل أن يرفع رأسه قليلاً ليتجه إلى القبلة فإن لم يستطع أن تكون رجلاه إلى القبلة صلى حيث كان ولا إعادة عليه.

- يجب على المريض أن يركع ويسجد فى صلاته فإن لم يستطع أومأ بهما برأسه ويجعل السجود أخفض من الركوع فإن استطاع الركوع دون السجود ركع حال الركوع وأومأ بالسجود. وإن استطاع السجود دون الركوع سجد حال السجود وأومأ بالركوع، ولا يحتاج إلى وسادة يسجد عليها.
- فإن كان لا يستطيع الإيماء برأسه فى الركوع والسجود أشار بعينيه فيغمض قليلاً للركوع ويغمض تغميضًا أكثر للسجود. وأما الإشارة بالأصبع كما يفعله بعض المرضى فليس بصحيح ولا أعلم له أصلاً من الكتاب والسنة ولا من أقوال أهل العلم.
- فإن كان لا يستطيع الإيماء بالرأس ولا الإشارة بالعين صلى بقلبه فيكبر ويقرأ وينوى الركوع والسجود والقيام والقعود بقلبه ولكل امرئ ما نوى.
- يجب على المريض أن يصلى كل صلاة فى وقتها ويفعل كل ما يقدر عليه مما يجب فيها، فإن شق عليه فعل كل صلاة فى وقتها فله الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء إما جمع تقديم بحيث يقدم العصر إلى الظهر والعشاء إلى المغرب وإما جمع تأخير بحيث يؤخر الظهر إلى العصر والمغرب إلى العشاء حسبما يكون أيسر له. أما صلاة الفجر فلا تجمع لما قبلها ولا لما بعدها.
- إذا كان المريض مسافرًا يعالج فى غير بلده فإنه يقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ركعتين حتى يرجع إلى بلده سواء طالت مدة سفره أم قصرت.

[نقلاً من مقالة للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى]

وأخيرا

أيها الأخ الحبيب:

لا تحزن: فإن المرض يزول، والمصاب يحول والذنب يُغفر، والدين يقضى، والمحبوس يفك، والغائب يقدم، والعاصى يتوب، والفقير يغتنى.

لا تحزن: أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينجلى، والريح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ؟! إذا فشدائدك إلى رخاء، وعيشك إلى هناء، ومستقبلك إلى نعماء.

لا تحزن: لهيب الشمس يطفئه وارف الظل، وظمأ الهاجرة يبرده الماء النمير، وعضة الجوع يسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نوم لذيذ، وآلام المرض يُزيلها لذيذ العافية، فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة(١).

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيكم (سبع مرات).

وأسأله (جل وعلا) أن يجعل رسالتى هذه بلسمًا ودواءً لكل مريض مسلم.. كما أسأله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) لا تحزن/ الشيخ عائض القرنى (ص: ١٠١).